

ظهر حديثاً

نابليون تآليف إميل لودفيج ترجمة الأستاذ محمود إبراهيم الدسوقي (دار الكاتب المصرى) مجلدات مجموع صفحاتها ٧٠٠ صفحة ، وترجمة أخرى للأستاذ عادل زعتر مجلد واحد (دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابى الحلبي) مجموع صفحاته ٥٥٦ صفحة .

أحمد لقاءه ولم يحمّد لقائى . كلفت ان أستقبله فى بعض الأندية ، فطلبت إليه فى صراحة لعلها لم تخل من الصنف ألا يتعجل إنشاء كتابه ، وألا يسلك طريق جماعة من الكتاب الذين ينفقون فى مصر أسابيع ثم ينشرون عنها كتاباً حظه من الخطأ يربى على حظه من الصواب . وكان طبيعياً ألا يقع هذا الكلام من نفس الكاتب الألماني الممتاز موقفاً حسناً ، وكان طبيعياً أن نفتقر إلى غير لقاء .

على أنى بعد ذلك قرأت له كتابين رضيت عنهما كل ، الرضا ، وأعجبت بهما كل الإعجاب ، ووددت لو ترجما إلى اللغة العربية ليقراها أكبر عدد ممكن من أبناء الشرق العربى ، وهما كتابه عن بسمارك وكتابته عن نابليون . ولعل شخصية بسمارك ونابليون أن تكونا هما المؤثرتين فى نفسى . وأن يكون تأثيرهما أشد من تأثير لودفيج . ومع ذلك فقد كانت شخصية جوت خليفة أن تحدث فى نفسى مثل هذا الأثر ، وأن ترضينى عن هذه المجلدات الثلاثة التى تشتمل على الترجمة الفرنسية لكتاب لودفيج عن جوت .

مهما يكن من شيء فقد أخذت أقرأ كتاب نابليون . ولم أكّد أمضى فى قراءته شيئاً حتى استأثرت به ، ولم أدعه حتى أتممته على

فبين الترجمتين إذن فرق عظيم فى عدد الصفحات يبلغ مائة ونصف مائة منها فيجب أن يكون أحدهما قد أضاف هذا المقدار الضخم إلى الكتاب من عند نفسه ، أو أن يكون الآخر قد حذف هذا العدد الضخم من الكتاب ليخفف حجمه ، ويجعل حمله ونقله يسيراً . ولكن هذه قصة أخرى ، يضحك لها من يشاء أن يضحك ، ويحزن لها من يشاء أن يحزن ، ويسخر منها من لا ينظر إلى الأشياء نظرة الجد ، ولا يرى لدقة الترجمة وحسن النقل والأمانة فيه خطراً .

ولست من المعجبين بإميل لودفيج وفنه إعجاباً شديداً . ومصدر هذا فى أكبر الظن أنى لم أقرأه فى نصه الألماني . ومصدر هذا فى أكبر الظن كذلك أن بين خياله الألماني البعيد ، وتفكيره الألماني الملتوى ، وبين خيالى القاصر وعقلي العربى الذى يواجه الأشياء أكثر مما يدور حولها ، أمداً بعيداً . ومصدر هذا فى أكبر الظن كذلك ، أنى حاولت أول ما حاولت أن أعرف لودفيج من طريق كتابه عن حياة المسيح ، ومن طريق كتابه عن حياة جوت ، فلم أستطع أن أمضى فى الكتابين إلا قليلاً . ومصدر هذا آخر الأمر أنى لقيت لودفيج فى القاهرة حين زار مصر متيئاً لإنشاء كتابه عن النيل ، فلم

ملتهب أسماء هذه المواقع الحربية التي لا يمكن أن تنسى . ولكن كتاب لودفيج يظهرنا في يسر شاق بعض الشيء ، إن أمكن أن يستقيم هذا التعبير ، على نواحي أخرى من حياة نابليون : يظهرنا على المشرع الذي سلك بفرنسا هذه الطريق الرائعة في سبيل تجديد التشريع ، وعلى المسالم الذي أبلى في الحرب بلاء لا يعدله إلا بلاء الاسكندر وقصر ولكنه أحب السلم كما لم يحبها أحد ، وصور السلم في رسائله وأحاديثه ومذكراته كما لم يصورها أحد ، ودعا إلى السلم كما لم يدع إليها أحد . والمثالي الذي اشتق حياته هذه الهائلة من قراءة كتاب بلوتارك عن حياة عطاء الرجال صور لنفسه حياته هذه الهائلة تصويراً ، ثم اندفع إلى تحقيقها اندفاعاً حققها كما أراد . خلق لنفسه نجماً واعتقد أن هذا النجم هديه في هذه السبل الملتوية التي دفعتها إليها مفاصله ؛ وقد هداه هذا النجم بالفعل ؛ لأن هذا النجم لم يكن في حقيقة الأمر إلا هذه الإرادة القوية العنيفة الماضية القاهرة التي لا تعرف تردداً ولا اخياراً ولا استسلاماً .

ثم يظهرنا كتاب لودفيج على نابليون العاشق الذي يعذبه العشق ، واللاهى الذي يتعجل الهوى بين موقعتين من مواقع الحرب ، والأديب الذي يذوق الأدب وينقده ، والذي يشجعه ويسخر منه ، والعالم بنفسية الشعوب وبفسية الحيوش ، وبفسية الأفراد على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم وحظوظهم من الثقافة والعلم ، ونصيحهم من استقامة الأخلاق واعوجاجها . ثم يظهرنا مع ذلك على ضعفه الانساني أمام هذا الظهور أو ذلك من مظاهر الغرور ، وعلى قوته الانسانية الهائلة التي كان ينفقها ، ليعين بهذا الضعف ويحيد فيه ما يرضى حاجة نفسه الانسانية إلى الاستمتاع بأكاذيب الوهم وخداع الآمال .

يظهرنا لودفيج على هذا كله ، وعلى أكثر

طوله وعلى ما يحفل به من المشقة والمجهود في تصوير الحوادث وعرض التاريخ واستقصاء العلل واستنباط النتائج . والواقع أن الجهد العنيف الذي يبذله القارئ حين ينتقل بين هذه الأجزاء التي سماها لودفيج جزيرة ، وسيلاً ، ونهراً ، وبحراً ، وصخرة — هذا الجهد يثير في النفس متاعاً عظيماً لكثرة ما يمكن من معايشرة هذه الأحداث الكثيرة جداً ، المختلفة جداً ، التي أثرت أبعد الآثار وأععمقها في تاريخ العالم الحديث . فالأحداث التي صورها إميل لودفيج في كتابه تصويراً رائعاً دقيقاً تقع كلها في أقل من ربع قرن ، وكانت خليقة أن تقع في أكثر من قرون . ويكفي أن تعلم أنها أحداث الثورة الفرنسية ، وأحداث الامبراطورية وما استتبعت من أحداث في العالم المتحضر كله إذ ذاك . وقد وقعت هذه الأحداث في وقت قصير وفي أماكن محدودة من الأرض ، ولكن آثارها وأصداعها لم تلبث أن انتشرت وتجاوبت في أقطار الأرض كلها ، ولم تلبث أن تصحب الزمن وتساهره إلى الآن ، وليس من شك في أنها ستصحب الزمن وتساهره إلى آمام بعيدة في المستقبل أشد البعد . والذين لا يرغبون لدرس نابليون واستقصاء حياته العجيبة ، ويكتفون بما يعرف عنها المثقف العادى الذي يقتنع بما يقرأ في مختصرات التاريخ وما يسمع من الأساندة في معاهد التعليم ، يحفظون لأنفسهم من نابليون بصورة ناقصة أشد النقص ؛ فهو البطل العصامى الذى نجم من أسرة متواضعة في جزيرة كورسيكا ، ثم ملأ الدنيا وشغل الناس بانتصاراته في إيطاليا ، وبإقدامه على غزو مصر ، وبتكوين هذه الامبراطورية العظيمة التي أقرت النظام بعد الثورة في فرنسا ، والتي نشرت أصول الثورة في أوروبا ، والتي ثلث ما ثلث ، وأقامت ما أقامت من العروش ، والتي كتبت في التاريخ بأحرف من نار داهية أو بأحرف من دم

وهو لم يقدم على ترجمة هذا الكتاب إلا بعد أن استأذن المؤلف في هذه الترجمة ، وظفر بأذنه ، وحاول أن يستعينه على تفسير بعض نصوصه فلم يجد عنده طائلاً كما ينبغي ذلك في مقدمته . ثم هو لم يكتف بجهد الخاص ، وإنما تمتحن ترجمته بعد إتمامها ، ففرض بينها وبين الترجمة الانجليزية والترجمة الفرنسية ، وخرج من هذه المعارضة ظافراً مطمئناً ، بل استكشف في هاتين الترجمتين ضروراً من النقص عرض علينا نماذج منها في كثير من التواضع والاستحياء . فمن أسير حقه على وعلى غيرى من الذين لا يقرءون الألمانية أن نشكر له هذا الجهد الحصب ونهنته بهذا التوفيق العظيم ، وتنمى عليه أن يترجم لنا كتاب لودفيج عن بيمارك ، وأن يعضى في إظهار قراء العربية على روائع الأدب الألماني العظيم .

أما الترجمة الثانية لكتاب نابليون فلها مرتبتان : الأولى أنها تقع في مجلد واحد فهي أخف حملاً وأيسر تناولاً ، الزية الثانية أنها رخيصة الثمن بالقياس إلى الترجمة الأولى . وما من شك في أن الأستاذ عادل زعير قد كلف نفسه مشقة عنيفة وبذل في عمله جهداً عظيماً ، وفي أنه خليف من أجل ذلك بأن نمجده له رغبته في الخير ، ومحاولته للنفع ، وتكلفه للمشقة والجهد في سبيل ذلك . والأستاذ نفسه ينبغي أن يمتدح به . يترجم الكتاب عن أصله الألماني ، وإنما استخلصه لنا من الترجمة الفرنسية والترجمة الانجليزية والترجمة التركية ، وأقول استخلصه ولا أقول ترجمه ، فالأستاذ ينبغي أن يمتدح به لأنه لخص في كثير من المواطن ولم يترجم . وهو ليس في حاجة إلى أن يثبت بذلك ، فالأمر أوضح من أن يحتاج إلى أن يثبت به أو يدلنا عليه . وقد قلت في أول هذا الحديث إن بين النصين العربيين فرقاً في عدد الصفحات يبلغ خمسين ومائة صفحة . وواضح جداً أن

جداً من هذا كله ، في هذا الكتاب الذي لم يخلص للتاريخ ، ولم يخلص للقصاص ، وإنما كان مزاجاً منهما ، يرضى الحاجة إلى المعرفة كما يرضى الحاجة إلى السلو والتخلص بين حين وحين من هموم الحياة الواقعة التي تفتش الناس حين يصبحون وحين يمسون .

ومن هنا لم أتردد في تشجيع صديقي الأستاذ محمود إبراهيم الدسوقي على نشر ترجمته لهذا الكتاب حين عرفت منه أنها قد تمت أو أوشكت أن تتم ، ففي إهداء هذا الكتاب إلى قراء العربية إظهار لهم على فضول رائعة من تاريخ العالم الحديث قليل منهم يستطيع أن يظهر عليها من طريق اللغات الأجنبية التي يحسنونها ، وأكثرهم لا يجد إليها سبيلاً .

والأستاذ محمود إبراهيم الدسوقي دقيق إلى أقصى غايات الدقة ، أمين إلى أبعد حدود الأمانة ، يكلف نفسه من ذلك ما يشق عليه وما يشق على الذين يعملون معه أعظم المشقة ، وينتهي به حرصه على الدقة والأمانة إلى الحرج والأحراج في كثير من الأحيان ، وهو من كتابنا القليلين جداً الذين يمتصون أمامهم في الطريق التي رسموها لأنفسهم أو رسمتها لهم الحياة ، لا ينجحون العوج ولا الذبذبة ولا الالتواء ، ولا يكرهون أن يبذلوا أعظم الجهد ويحملوا أشد العناء في سبيل المحافظة على سلوك هذا الصراط المستقيم . وإتقانه للألمانية ، وتعمقه لأسرارها واستقصاؤه لدقائقها أمور معروفة قد استقرت في نفوس المثقفين جميعاً . وهو قد ترجم آثار جوت ، فأرضى نفسه وأرضى قراءه سواء منهم من استطاع أن يقرأ جوت في لغته الألمانية ومن استطاع أن يقرأه في اللغات الأوربية الأخرى . فآفداه على ترجمة هذا الكتاب السسير لا غرابة فيه ، لأنه تعود دائماً أن يواجه في الحياة كل عسير .

وبعد ، فقد يخيّل إلى أن الحياة العقلية في الشرق قد بلغت من الرق حدا لا تسمح بالنقل عن التراجم حين يمكن النقل عن الأصل ، ولا تسمح بترجمة الكتب ونشرها والانتفاع منها دون استئذان مؤلفيها ، ولا تسمح بهذا التنافس المالى بين عمليّن احدهما متقن دقيق والآخر بعيد كل البعد عن الاتقان قد تمجّله صاحبه واختطفه اختطافا

المترجم المصرى لم يزد على كتاب لودفيج حسين ومائة صفحة من عند نفسه ، فيجب ان يكون المترجم الفلسفي قد حذف من الكتاب ربه أو أقل من ربه قليلا ، ذلك إلى عيوب خطيرة أخرى في الترجمة تظهر من الموازنة بين النصوص ، وقد يعرض لها غيرى من الذين يجدون الوقت لمثل هذا الاستقصاء الذى لا بد منه .

ط صبيح

كتب أربعة

بقظة العرب تأليف جورج الطونيوس وترجمة على حيدر الركابي (مطبعة الترقى بدمشق) .

العرب تأليف الدكتور فيليب حتى وترجمته مع بعض المعاوين (منشورات دار العلم للعلايين)

فضية فلسطين تأليف نجيب صدقة (منشورات دار الكتاب ببيروت) .

هذه هي الأعنزل تأليف عبد الله القصيمي (مطبعة مصر - القاهرة) .

أن يبلغ ، ومنهم من لا يزال في وسط الطريق أو في أوله ، ولكنهم على اختلاف سلمهم لا يزالون متجهين بأبصارهم وقلوبهم وعقولهم نحو تلك القبلة التي تتراءى لهم على مقربة أو على مبعده ، فلا بد أن يبلغوا لأن معهم الايمان والصبر !

على أى دلالة تدل هذه الكتب الأربعة التي يخرجها كتابها لقراء العربية في وقت واحد على غير سابق ميعاد ، ليتحدثوا إليهم في موضوعاتها الأربعة ، أو في الموضوع الواحد الذي يدور حوله حديث المؤلفين الأربعة ؟

أليست هي الدلالة على ان الوعي القومي في بلاد العربية قد بلغ مبلغه من القو

كتب أربعة ، تدور كلها حول موضوع واحد . وتصدر عن مترج واحد ، وترى إلى هدف واحد ، وإن اختلفت مناهج مؤلفيها وأساليبهم في التفكير ووسائلهم في البيان وطريقتهم إلى الهدف .

كتب أربعة مؤلفين أربعة لم يجتمعوا في دار ولا اظهلم سقف ، ولعلمهم لم يلتقوا يوما على ميعاد ولم يتراءوا عينا لعين ، ولكنهم مع ذلك قد اجتمعوا على خاطر مشترك أومض في قلوبهم جميعا في لحظة معا ، فتوجهوا بأبصارهم وقلوبهم وعقولهم إلى قلة تتراءى لهم على مقربة أو على مبعده ، فضوا يغدون السير إليها جميعا آمليّن أن يبلغوها . وسلك كل منهم إلى غايته سبلا ، فبهم من اوشك

والتاريخ ، وهو بحث سياسى يتسلل بالنطق الصحيح من المقدمات إلى نتائجها فى أسلوب معتدل ليس فيه سفسطة أهل الجدل ولا اندفاع أهل السياسة ولا حماسة دعاة الوطنية . وهو بكل ذلك ، وبغير ذلك ، كتاب تمنى أن يقرأه كل أن يقرأه كل عربى ، كما تمنى أن يقرأه كل قارئ بالانجليزية .

ومن أجل ذلك اتجهت نية معر به إلى تعريبه ، ودعته إليه حكومة الجمهورية السورية ، فبلغه مبلغه فى تجويد الترجمة والأداء ، وأخرجه للناس كتاباً عربياً مبنياً . هذا هو كتاب « يقظة العرب » . . .

وأما الكتاب الثانى فهو كتاب « العرب : تاريخ موجز » لمؤلفه الدكتور فيليب حق أستاذ آداب اللغات السامية ورئيس دائرة العلوم الشرعية بجامعة برنستون . وليس الدكتور فيليب حق من النكرات فتحدث عنه إلى القراء حين تحدثت عن كتابه هذا الذى ظهر حديثاً فى أسلوبه العربى ، بعد أن قرأه قراؤه بالانجليزية منذ سنتين أو ثلاث ، وظهرت منه طبقات أربع ، منها طبعة خاصة بالقوات الأمريكية الحاربة .

وقد وضع الدكتور فيليب حق قبل هذا الكتاب كتاباً آخر مطولاً بالانجليزية عن تاريخ العرب نشرته شركة مكلان ، لندن ، فلقى من الرواج فاحداً بمطبعة جامعة برنستون أن تدعو مؤلفه لوضع هذا الموجز الذى تحدثت عنه اليوم ، فراج رواجه كذلك بالانجليزية ، وترجم فى الأرجنتين إلى الأسبانية ، وشرع فى ترجمته إلى البرتغالية ؛ ثم كانت هذه الترجمة العربية التى استعان فيها المؤلف بطائفة من رفاقه الذين كانوا يساهمون معه فى منهاج التدريس الخاص بالجيش الأمريكى فى جامعة برنستون . وهم السادة شكرى

والانتشار ، فعاد نبضا فى كل قلب ، وخطرا فى كل فكر ، وصورة محبة فى مرأى كل ذى عينين ؟ بلى ! وإنه حقيقة ماثلة ينبغى أن يحسب حساسها وتقدر مغبتها وعواقبها . . .

أما أولها وهو كتاب « يقظة العرب » فألفه مؤلفه بالانجليزية منذ بضع سنين ليكون تعريفاً وافياً دقيقاً بالقضية العربية لكل قارئ بالانجليزية .

ومؤلفه المرحوم جورج أنطو نيوس أديب من أبناء العربية . كان له فى الجهاد العربى سابقة وفضل ، وقد عاصر بعض مراحل النهضة العربية الحديثة وعرف كثيرا من دقائقها عن كثب ، وأتيحت له فرص لم تتح لغيره للاطلاع على كثير من الوثائق العربية والافرنجية التى تكشف الثام عن بعض ما استتر من فصول هذه القضية . وقد أراد بكتابته هذا أن يخرج بالقضية العربية من نطاقها المحدود إلى نطاق دولى أوسع ليكسب لها التأييد من أحرار الفكر الذين يقدرون الحق بعيداً عن مؤثرات الهوى . وقد نجح فيما قصد إليه ؛ فكان محامياً طلق اللسان قوى الحجة بارع العرض لقضيته بين أصحاب الراى من قراء الانجليزية فى انجلترا وأمريكا وغيرها من البلاد .

على أن كتابه ذاك وإن كان القصد الأول منه تعريف الانجليز بقضية العرب والانتصار لهم والاستدلال على حقهم — لم يقتصر نفعه على هذا الوجه من أوجه الدعاة ، فقد تضمن من المعلومات والأسرار ما لا يعرفه العرب أنفسهم عن القضية التى ينتصرون لها ؛ وفيه من وصف بعض الأحداث التاريخية القرية أو البعيدة ما كان حقيقاً — لو لم يكشف عنه المؤلف — بأن يظل مجهولاً للعرب أنفسهم ، عامة وخاصة ؛ فهو كتاب للعلم

الانجليز الهاشيين ، ثم ما كان من وعودهم للصهيونيين ، وما تخال ذلك من محادثات ومساومات ومعااهدات سرية وأخرى علنية ، ثم ما تلا ذلك من وصف الحالة بعد الانتداب والثورات العربية المتتالعة والمحاولات الانجليزية المختلفة للتغريب بالعرب ، ومحاولات الصهيونيين للسيطرة والغلب .

ثم يتحدث في القسم الثاني عن الموقف السياسي الحاضر ، ويصف فيه ما كان من تقبل الأحوال بعد صدور الكتاب الأبيض في سنة ١٩٣٩ وما تلا ذلك من جزر ومد يتتبعان على اختلاف نشاط الهيئات العربية والصهيونية وحركات السياسة الدولية .

ثم أفرد القسم الثالث للوثائق والاحصائيات والمراجع والفهارس وللصورات الجغرافية التي تعين على تتبع مراحل القضية منذ ابتدائها حتى اليوم .

يمرض ذلك كله في أسلوب هادئ متزن فيه دفء الوطنية ، وسلامة المنطق ، وبقين الايمان .

واليوم يجتمع المؤتمرون في لندن لبحث مشكلة فلسطين ، وهذا كتاب بالعربية يفصل مراحل هذه المشكلة منذ سولت لبريطانيا مطامعها أنها تستطيع أن تعقد صفتين على سلطة لا تملكها ، لتقبض منها مرتين إحداها من المالك الاصيل . . . فهل ألفه مؤلفه في هذه المناسبة ليكون لونا من ألوان الدفاع أمام المحكمة التي توشك أن تنفض ونصف أعضائها خصوم للنصف الآخر ، أم أنه ليكون مقدمة كبيرة للجهد الكبير الذي يوشك أن تزحف ججافله لاستخلاص الحق من مقتضيه ؟

إنه لذلك ولذلك ؛ فليت كل صهيوني في إنجلترا وفي أمريكا يتاح له أن يقرأه يعرف ماى باطل يستمسك . وليت كل عربي في المشرق والمغرب يقرأه كذلك يعرف عن أى حق يدافع !

خورى ، وفرحات زيادة ، وإبراهيم فريجي ، إلى غيرهم من رفاقه .

والكتاب نهج جديد في الحديث عن العرب على هامش تاريخهم ، وفيه فاتحة وتسعة عشر فصلا يتحدث فيها المؤلف عن العرب منذ بداوتهم الأولى إلى ما قبل الاسلام ، إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى أيام الخلافة والفتح ، إلى الحروب الصليبية وعصر المماليك ، إلى العصر الحديث ؛ يتخلل ذلك كله مباحث عن الاسلام ، والخلافة ، والحياة الثقافية والاجتماعية ، والعلوم والآداب ، والفنون الجميلة وغيرها مما لا بد أن يستدعيه المقام حين يراد التعريف بالعرب في ماضهم وحاضرهم وأمجادهم الباقية وما زهم المذكورة ومثلهم العلبا ؛ ليعرف من لم يكن يعرف أن مكانة العرب بين الأمم التي شادت بناء الحضارة ورفعت منار العلم . ويلى ذلك كله فهرس دقيق للأعلام والبلدان والطوائف التي وردت في صلب الكتاب مرتب على حروف المعجم .

فهذا كذلك كتاب جاء في آوانه وحين الحاجة إليه ؛ وإنه لحقيق بجفاوة كل قارئ عربي . . .

ويتحدث الأستاذ نجيب صدقة في الكتاب الثالث عن « قضية فلسطين » وهو كتاب لا يقل شأنًا عن الكتابين الأولين . وقد اقتتح بكميتين قدم بهما إلى القراء ، أولاها كلمة لعبد الرحمن عزام باشا ، والأخرى للسيد جمال الحسيني رئيس الحزب العربي ونائب رئيس اللجنة العربية العليا .

ويقع الكتاب في أكثر من ثمانين وثلاثمائة صفحة ، وقد قسمه المؤلف أقساما ثلاثة ، عرض في القسم الأول منها لتاريخ هذه القضية منذ بدأت الثورة العربية الكبرى في أثناء الحرب العالمية الماضية ، وما كان من وعود

الاتجاهية المثمرة ووسائل الاكتساب للمادية .
ويتضمن الكتاب فصولاً شتى يقدم لها
بصفحات يرفعها إلى مقام صاحب الجلالة الملك
عبد العزيز آل سعود ، ثم يتحدث فيما يلي عن
الايان بالانسان ، ثم عن الجهل والفضيلة ،
وتعليم المرأة ، والحجاب ، وخطأ الدعوة إلى
الزهد في الدنيا ، وضرورة الزود من علم
الحياة ، ومعنى القضاء والقدر والتوكل ،
والأسباب والمسببات ، والدعوة إلى الأمل في
المستقبل . فإذا كان الفصل الأخير يتحدث عن
« المشكلة التي لم تحل ! » وفي هذا الفصل
يرد كل المراتق الفكرية إلى « التدين
الباطل »

يعالج كل ذلك في أسلوب مسهب ضافي
الذيول كثير الفضول ، إلى قوة إيمان بالفكرة
التي يدعو لها وحرص على أن يبلغ موضع
الافتقار في نفس قارئها من كل سبيل ،
بالإلحاح والتكرار وبالأسلوب الخطابى ،
وبكل ما يملك أو ما لا يملك من الوسائل !
ولكنه على أى أحواله كتاب يستحق أن
يقرأ ، لأن فيه نفس صاحبه ، وإيمان هذه
النفس ، وقوة ذلك الإيمان ، ثم لأنه إلى
جانب كل ذلك برهان جديد على اليقظة العربية .
وأول يقظة الطفل صراخ !

محمد سعيد العميرة

وهذا الكتاب الرابع « هذه هي الأغلال »
الذى يقول مؤلفه في صدره : « سيقول
مؤرخو الفكر : إنه بهذا الكتاب قد بدأت
الأمم العربية تبصر طريق العقل . . . »
ويصفه بأنه « ثورة في فهم العقل والدين
والحياة . . . ودراسة عميقة للعوامل النفسية
والاعتقادية والتاريخية والحلقية التي قضت
بأنحلال المسلمين — عربهم وعجمهم —
وذهابهم في طوفان القرب الطاغى . . . ثم
كيف ينحسر عنهم هذا الطوفان . . . »
ولعل الكتاب كما وصف مؤلفه ، فليس
من شك أن في هذا الكتاب صورة تلهم
مؤرخ الحركة الفكرية في غد أن يقول إن
الأمم العربية قد بدأت تبصر طريق العقل ،
وليس من شك أن في الكتاب ثورة ودراسة
ومحاولات للعلاج !

ولكن ما هي هذه الأغلال التي يطلب
للمؤلف إلى العرب والمسلمين أن يحطموها
لينهضوا وينحسر عنهم ذلك الطوفان ؟
ذلك هو السؤال الذى يستغرق الجواب
عنه ثلاثين وثلاثمائة صفحة هي مجموع صفحات
هذا الكتاب ، وانقلها غلا في أعناق المسلمين
والعرب : هو الجهل الاعتقادي أو سوء فهم
الدين ، وضعف الاقبال على الأعمال

مشكلة السلوك السيكوباني تأليف الدكتور صبرى جرجس (مطبعة نعام) .

الامراض العقلية بالسياسة فجمع الكثير منها
وتتبع أحوالها ، واهتم بالتأحية السلوكية لمريضه
قبل دخولهم المستشفى ، واستطاع بهذا
تأييد فكرة النهج التكاملى الذى يدعو إلى
الجمع بين العوامل البيولوجية والنفسية
والاجتماعية لفهم السلوك الانسانى ، وظهر

قدم الدكتور صبرى جرجس هذا البحث
لنيل درجة الماجستير في الآداب من جامعة
فاروق الأول . والدكتور صبرى جرجس
دبيب تخرج في جامعة فؤاد الاول واختص
بلا أمراض العقلية . ووجد المؤلف فرصة
الوقوف على حالات مرضية في مستشفى

المستشفيات: « إن ش*** طبيب ، ولكن جانباً كبيراً من جهده ووقته منصرف إلى القول على زملائه وافتراء الإكاذيب عليهم ، سيان في ذلك أعداؤه « وأصدقاؤه » . وليس مما يعنيه ، أو يثنيه ، أن تقتضح أكاذيبه ؛ فان الذي يرى ابتسامته العائنه وهو يقابل صد زملائه وإعراضهم حيناً ، وسخريتهم وتحقيرهم أحياناً ، يرى الخلق السيكوباتى في لهوه غير التبصر بألفاظ لا يستطيع أن يتمثل مدلولها ، واتجاهه الجامع إلى إرضاء نزعات فجّة وتحقيق كسب وهى . » (ص ١٦٢) وللمهم هو أن يربط بين هذا السلوك الذى يبدو بسيطاً وعادياً وبين سلوك أكثر خطورة ينسب للشخص نفسه ويشير ضجة في المجتمع وحيرة .

ولعل بعض الناس يعتقد أن الوصف الذى قدمه لنا المؤلف عمل يمكن أى شخص أن يقوم به . ولا تظهر قيمة الاختبار والملاحظة إلا إذا وقف القارئ بأمعان على الفصل الثالث وتبّع جولات المؤلف في تحليل السلوك السيكوباتى واستغلاله لملاحظاته القيمة . وفي هذا الجزء من الكتاب تظهر براعة المؤلف كطبيب باحث يجمع بين المطالعة النزيرة والملاحظة الدقيقة . وتعتبر صفحات الوراة أهم ما كتب في هذا الموضوع ، إذ نجد أحدث الأبحاث وأعمق الأفكار .

وذكر المؤلف مجلات مختصة كارجع إلى كتب مطولة . وأهم ما جاء في هذا الجزء هو مناقشة المؤلف لبعض النظريات الموضحة للوظائف النفسية لبعض الأعضاء مثل صلة الهيبوتلاموس بالانفعال (ص ١٩٤) .

وعرف المؤلف كيف يستغل منهج التكامل في دراسة الجبله ، واستطاع ان يتبّع مراحل النمو ويربط بينها وبين آثار الجسم من جهة وآثار المجتمع من جهة أخرى ؛ فنراه يدرس المرحلة الرابعة وهى « مرحلة المعارضة

البحث مبتكراً في علم جديد بالنسبة لكل الدراسات المقررة في معاهد مصر العالية . يعتبر كتاب « مشكلة السلوك السيكوباتى » أساس الأبحاث في علم النفس الطبى الاجتماعى . ويجب أن تنفطن إلى نقطة هامة في دراسة علم النفس . إن كانت بعض العلوم الوضعية التجريبية صالحة في كل مكان فان علم النفس الحديث يحاول أن يدرس الانسان في بيئته ، إذ ثبت أن للبيئة أثراً كبيراً في تكوين الشخصية .

ولذلك يعتبر الفصل الثانى من الكتاب ، وهو الجزء المخصص للمظاهر الاكلينيكية ، جزءاً هاماً بالنسبة لعلم النفس في مصر . لم يكتب المؤلف بعرض حالات مرضية ، ولكنه حاول أن يبحث في تاريخ الشخص الفردى وتاريخ الأسرة وحاول أن يصل الشخص بكل البيانات التى تؤثر في السلوك . ويمكن القارئ الاجنبى عن مصر أن يكون فكرة واضحة عن مشا كل المجتمع المصرى . وتوجد حالات تبدو بسيطة في مظهرها ولكنها خطيرة في حقيقة الأمر ، ومن بين هذه الحالات الحالة الثالثة والرابعة .

واستطاع المؤلف أن يقول كلمة صريحة عن السيكوباتية بين ذوى المهن العالية . ويطبق هذا الجزء ضوءاً على كثير من الاضطرابات التى تسرى في المجتمع من جراء مرض خفى يلعب في نفس شخص استطاع أن يخفى المرض على نفسه ويخفيه على الناس . وتكون النتيجة أن يصل أشخاص إلى مقامات عالية ويوجد تباين كبير بين مقدرة الشخص على العمل والتعب وبين المسئولية الخطيرة التى تحمّلها . وعلى ضوء هذا البحث العلمى يمكننا أن نفهم خطر التفاوت بين النفوس الصغيرة والمراكز الكبيرة . وهكذا يجد القارئ تحليلاً دقيقاً لنفسية طبيب مريض غير شاعر بمرضه ، وهو عملاً منصباً هاماً في إحدى

لسلوكه ويعلم امته أصبح معروفا لدى كل الناس فانه يقلع عنه ويتعد عن كل ما يتعلق به . ولهذا لعب التمثيل الفرنسي في القرن السابع عشر دوراً هاماً في محاربة السيكوباتية . والفضل في ذلك يرجع إلى الأديب موليير Molière الذي استطاع أن يدرك الشذوذ في السلوك ويقدم نماذج مضحكة منه على المسرح . وزيادة على هذه الافادة بطريق التعريف والتصنيف حاول الدكتور صبرى جرجس أن يضع أساساً جديداً للعلاج قائماً على المنهج التكاملي : « الهدف الذى يقصده المنهج التكاملي إليه هو أن يجعل من المهنة الطبية أداة وقائية اجتماعية لا أداة علاجية فردية ، لأنه يجعل مثله الأعلى في تدبير الصحة لخدمة المرض . » (ص ٢٧٩)

وإذ نبين أن السلوك السيكوباتى يرجع إلى التفكير الناشئ عن اضطراب عوامل الشخصية ، فإن الغاية الصحيحة في الطب هي أن نحاول إيجاد الظروف للملائمة لتكوين هذه العوامل متكاملة ، ولتضمن بذلك تكامل الشخصية وسلامتها .

المضادة للنظام التي تستغرق فترة المراهقة . هذه هي مرحلة ثورة الذات على القيود الاجتماعية ، وهي تحفل بصراعات جديدة ناجمة من اضطراب التوازن السيكويولوجى الذى يحدثه نشاط الغدد الجنسية ، ثم من القيود التي يقيمها المجتمع دون إشباع الغريزة العارفة . » (ص ٢٠٨)

ويظهر تعب الباحث في محاولته حصر كل آراء العلماء في التعليل والتعريف والتصنيف . وترددت أسماء أعلام علم النفس . وكل رأى مصحوب بشرح واضح ومناقشة علمية دقيقة .

ويصل القارئ بفكرة واضحة عن المرض ليخرج من الكتاب برأى عن الطريق العملي في التوجيه والعلاج . ويعتبر هذا الفصل خلاصة تلقى ضوءاً يوضح الصلة بين كل أجزاء الكتاب . ودراسة الأسباب والعلل والتطور تعتبر تمهيداً للتوجيه والعلاج . إذ يكفي أن يعرف السيكوباتى نفسه ليغير سلوكه . فالشخص يأثف من الأعمال الآلية المفروضة عليه فرضاً . فالشخص الذى يجهل وصفاً دقيقاً

أبر مدين الشافعى